

هذا الرجل ولن أدعه
يقتنى أثرى في بلاد الغربة،
ولا بد من أن أرغمه على
الاعتراف لي بعملة تلبي،
وأذكره بأننا في جمهورية
حرة، ولسنا في شوارع
موسكو أو بطرسبرج،
وأن أهده بكشف القناع

عن حرفته أو أرفع شكواي إلى
رياسة الشرطة، محتجاً بتحريم
التجسس على الأبرياء في بلد أجنبي.
فإذا ما خشي الفضيحة وهرب
من وجهي عدت أدراجي إلى
محطة السكة الحديدية حيث تركت
فيها متاعى لأتسلق سلم المركبة
الأولى التي تصادفني في أول قطار
يحملني إلى مقرى ومرتنى... إلى
مدام جابونسكي، إلى أحضان
تلك المرأة الحنون، فإذا ما سألتني
عن عودتي غير المنتظرة، بعد
القلق المقيم المقعد الذي ساورني
قبل عيد الفصح أجبته في إيجاز
بأنني رضيت من الغنيمة بالإياب
لأنني ما كنت أستطيع البعد عن
ييتي. فقد اكتشفت في هذا
السفر القصير أنني مصاب بداء

الخوف كالسنور الذي يعلو ظهره وتنتفخ أوداجه
وتبعث أعصابه المتهاجة بشعره الناعم، فيصير
كالشوك، ويتحفز للهجوم على غريمه كأنما ما كان
(٣)

الشاعر السكاج

للكاتب الروسي ليو تولستوي
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

تعريف بالقصة:

من بين الناحيات الخطيرة التي
تناولها تولستوي بقلمه ناحية النظام
الشاملة لأبناء أمته، التي تجسست في
مخائنه الخفية فأنتج آثاره الخالدة:
«المنشوقون السبعة» و«لم أعد
أطبق على السكوت صبراً» و«التأثر
الساذج» التي تنقل إلى العرية للمرة
الأولى، وقد كان مخطوطها بين
الأوراق التي حملها تولستوي في
فراره مع ابنته كاترينا وصديقه
الدكتور جولينشوف، قبيل وفاته
بأيام معدودة، وقد اعتبرها اللقاة
جزءاً من وصيته إلى شعبه، فعنى
بها وأحلقها من الأدب الرفيع أعلى
مكانة، وكأن الأقدار أبت إلا أن
ترفع الحجاب عن بصيرته فتحققت
نبوءة بزوال الحكم القيصري بعد
وفاته بسبع سنين، ولا يزال جمال
أخفاء الروحي المرفرف على صفحات
هذه القصة الخالدة دليلاً على قدرة
الكاتب الناقد البصيرة على اختراق
حجب الغيب في أسلوب رائع جمع بين
دقة التصوير وجلال الفن القصصي

كان فيكتور فيد روفسكي
ضحية الجواسيس، يتبعونه إلى
كل مكان، ويتمقبون خطاه،
ويقتفون آثاره، لأنه كان فيما
مضى مشبوهاً (١) وكان اسمه في
رأس الأسماء التي تحملها القوائم
السوداء، في مكاتب «أوخرانا» (٢)
الخفية. وكانت الشرطة السياسية
في موسكو وبطرسبرج توقع
المقبولات بالشبهات، فكل
مشبوه لديها منهم، وكل منهم
في نظرها مذنب. فلما هاجر
فيكتور إلى لوزان بسويسرا
ليلتحق بجامعة حتى يتم دراسة
الرياضيات العليا التي بدأها في
كلية الهندسة بمدينة أورالوف
شعر بأن وراءه جاسوساً يتبعه،
وكانه صحبه من حدود روسيا

إلى صميم سويسرا فقال محدثاً نفسه: لن أصبر على

(١) المشبه في الأدب الروسي هو المتهم بالثورة على حكم

القيصر
(٢) إدارة البوليس السري السياسي في روسيا القيصرية

معه معاركاً وأنا لا أعلم مدى ما تؤدي إليه المعركة،
إذا بالرجل الذي ظننته جاسوساً محترفاً يقف فجأة
ويقول لي: فيكتور! فيشنكا!... داسكويآ...!
فيشا... ألا تذكرني؟ ألا تعرفني؟ وكانت هذه
كلها ألقاب تميز وتدلّيل يناديني بها رفاق الصغار
في المدرسة اقتداءً بمربيتي وخادي في تدليلي

وكان الرجل يخاطبني بالروسية الفصحى،
أيهكون الكسندر براقسكي، أم خياله الحي؟
فوقفت على سلم القطار وقلت له: من تكون أنت؟
قال: أنا... أنا ساشا براقسكي، براقسكويآ... ألا
تذكرني؟ وارتدى المسكين في حضني وهو يبكي،
فلقد غادر البائس بيت الموتي... سجن سيبيريا منذ
حين هارباً من أيدي أعدائه وأعدائي. كان
ساشا قروياً ابن فلاح، دخل في خدمة مثال
اسمه بوريا كلامسكي، لا يزيد أجره على روبلين
يتقاضاهما في كل أسبوع، وما لبث الصغير أن
أظهر ميلاً تشد أزره موهبة فائقة مولودة
معه، فكان يحسن الحفر في الخشب وتأليف الألوان
الزاهية والقائمة لصبع تماثيل العذراء ويسوع
والقديسين، وبرع في إظهار علائم الحزن وأماز
الانقباض أو الفرح التي تبدو على وجوه الشهداء
كما كان يراهم في كنائس المدينة، وكان المثال يبعث
به إلى الأسواق والوالد ليبيع تهاويل الرسل
والملائكة، فيجلس ليسطها بين يديه على قطعة من
القطيفة الباعثة، ثم يبقى في انتظار هواة الإيمان
ممن لا يضمنون على أرواحهم بكوبك^(١) أو اثنين
ليشتروا بهما رمز معبود أو نصف معبود ليزينوا

لينشب فيه أظفاره التي تخفيها كفه اللساء، لقد
حاولت أن أضلل الجاسوس، ولكن ذهب تديري
سدي.

وبعد فإني أعود أدراجي لأن بالسكان الذي
وصفوه لإقامتي سجنًا كبيراً ومشرحة. أما السجن
فلا عجب، لأن بأطراف المدن وبضواحيها قد تبنى
السجون؛ أما المشرحة فما شأنها في جوار هذا
المنزل، وفي مثل هذا اليوم الشديد القيظ كأنه من
أيام جهنم؟ ياله من يوم له ما بعده!

كنت عدواً دائماً لن يخضعون للأقدار،
وأسخر من الذين ينصحون بالاستسلام للقضاء
المحتوم وأرميهم بالجبن والعجز والخور؛ وهأنذا قد
لعبت بي أيدي الأقضية والأقدار كما تلعب الأطفال
بالكرة... فكيف المفر، وإلى أين الهرب؟ ليس لدى
من الوقت ما يكفي لتقايب الفكر وتدير الأمور على
على مهل، ولم يعد في صدري متسع للصبر والتأمل.
فوطدت نفسي على الحرب التي لا هوادة فيها ولا
راحة؛ وكان الجاسوس لا يزال قابلاً في مقعده بمركبة
القطار ينتظر مغادرتي إياه ليتبعني متابعة الظل، فلم
أستطع أن أخيب أمه إلا بطريقة واحدة وهي أن
أبقى في القطار لأعود به، متظاهراً أنني ما قصدت
من هذه السفرة المتعبة الطويلة إلا الارتياح
والاستطلاع... وهذا أمر جائز ومباح، خصوصاً
وأنا خالي الوفاض، فلا متاع ولا أحمال توهم أنني
كنت قادماً للإقامة؛ وكانت السلامة مكفولة بهذا
الحل السريع المنقذ، ولكن كرامتي أبت على
التسليم، وكراحتي للرجل دفعت بي للنزال، فجمعت
نفسي ونهضت ونزات، فنزل الجاسوس، ومشيت
فسار ورأى يتعقبني... وقبل أن أستدير لأشتبك

(١) كوبك عملة روسية تعدل قرشين صاعاً

بطرسبرج ليتاقى الفنون الجميلة في « مجمع المصورين القيصري » ويتردد على متحف إرميتاج الشهير بآثاره الغالية . سافر الوالدان والولد إلى بطرسبرج في قطار الليل بعد أن تزودوا للسياسة واستقروا في فندق وضيع في حي « إيليانا » وهو خطّ المفلوكين ، ومرتع « البوهيمية » والنور ، لأن ما حملوه من المال المدخر لا يقوم بأودهم أياماً معدودة إذا هم اختاروا الإقامة في أحد الأحياء الغنية . وبعد يوم من وصولهم ذهب الرجل وولده إلى دار الفنون الجميلة وعرضا طلبهما ، فقبولا بالازدراء من الموظف المختص ، وقد دهش لجرأتهما على ترك الفلاحة في الحقول لإلحاق الولد بمعاهد التصوير والحفر ! فحنق برائولف والد الكسندر (ساشا) برافسكي على « الموظف المسؤول »

وخرج يتجامل على نفسه ، وصفق الباب وراءه صفقة كانت أشد وقعاً من الصفقة على صدغ الموظف الكبير ، وقد عقد النية على أن يلحق الفتى بالأكاديمية ولو أدى الأمر به إلى بيع أرضه وإنفاق آخر كوبيك من ماله وعقاره في هذا السبيل ، وعاد إلى الفندق حيث كانت الوالدة المسكينة في انتظارها ، فدفعه غضبه وكرامته المجروحة إلى أن يروي الحديث بمخافته عليها ، وختمه باظهار رغبته التي تتردد في صدره ، وكان صوته يتهدج ويدها ترتجفان حتى خشيت الأم (ناديا سيبيانا) عليه أن يصيبه سوء أو ينفجر شريان في دماغه ، فيذهب ضحية الفالج نتيجة حبه الخير لولده ، فبكت وأجهشت وقبلت يد زوجها وطابت خاطره ولكنها أثبت أن يكون ولدها سيباً في فقرها ، وهي التي تعلم أنه ليس من الغنى بحيث يحقق أمنيته وأمنيتها

بها حجراتهم القروية ويشملوا تحت أقدامها قناديل الزيت التقليدية ...

فكان الموجيهك من أهل القرى يرد السوق في حفل من أهله وجيرانه ، فإذا فرغ من البيع والشراء والأكل والشرب والهو البريء أو غيره ، طاف بأطراف السوق حتى إذا ما لمح « فرش » الأرباب والملائكة ، وقف على رأس الغلام ولس المعبود بقدمه سائلاً عن ثمنه ، فإذا علمه ما كس ما شاءت الماكسة حتى يصل إلى الثمن الذي يرتضيه فيلتقط التمثال الذي وطأه قدمه ، فيقبله ويضعه في جيبه بحرص وعناية ، ثم يخرج قطعة الفضة الصغيرة وينقد الصبي ثمنه وينقلب إلى أهله حاملاً تمثال ربه في ثنايا « كازاكه »^(١)

وكان ساشا الصغير يعجب لهذا المسلك ويضحك ثم يأسف على فنه الضائع بين هذه القطعان الشاحبة الكالحة التي تعد من بني الانسان وليست منهم . ثم أخذ يثور على الديانة التي تحتسبهم من تابعيها وعلى الكهنوت الذي يصبر على عمايتهم ويستغل ما هم فيه من غفلة بالغة . وما انقضت عليه ثلاثة أعوام بين المصنع والأسواق حتى شكا إلى أمه ما يلاقيه من ألم النفس وتعب البدن ، طالباً إليها أن تحث أباه على إرساله إلى المدرسة

فصممت الأم على تنفيذ رغبته ، وقرّعت الوالد على رضائه بأن ينشأ طفاهما على هذه المهانة وهما هو ذا قد نما وترعرع ، ومارس الصناعة والتجارة ولم يفد منها مالا يذكر ، لأن جهوده عائدة كلها على معلمه بوريا الذي لم يعلمه إلا ما رآه ملائماً لمصلحته الخاصة ، فلا بُدَّ من إرساله في بعثة تعليمية إلى

(١) سيرة طويلة لا تفتح من صدرها

الحكومة وآناً يحفز الشباب للوثب والمغامرة
فيأوى إلى نزل صغير في حي نيكولسكوى لقربه
من الدواوين وبعده عن مركز الثراء والزهو في
العاصمة حيث مراتع الغزلان ، ومواطن الفتنة ،
ومعارض الزينة الرائعة ، ومظاهر الفنى والنشب ،
وكان لأول عهده ببطرسبرج (وهي دنيا عريضة بالنسبة
لأورالوف وعاصمة المقاطعة الشاملة لقريته) يدهش
لما اجتمع لأهل هذه الحاضرة من أسباب الترف ،
ودواى الاسراف والتبذير ، ومختلف المتع التي
لا تنازعها إياها أية عاصمة أخرى

وكان إذا قاده قدماء إلى الأحياء الراقية في
الثراء يتحرق على نعيم الدنيا الذي يرى آثاره المغرية
في المجلات الجارية والسيارات المتسابقة ، والشوارع
الرحبة ، والمخازن الحافلة بأنواع المتاجر ، والخوانيت
الزاهرة بسمين الحلى والجواهر ، والمهائر العالية ذات
الطبقات المدودة ، والحدائق الغناء ، والظلال
الوارفة للأشجار المنضدة ، والمغانى الآهله بالفوانى ،
والمراقص المرددة لرنات المثلث والمثاني ، ويرمق بعين
الدهشة جماعة اللياسير الذين اتخذوا من الحياة
تلهية ، ومن أسباب المسرات وسيلة لدافعة الملل
ويقظ الشهوات التي رانت عليها التخمعة والسامة
فزهّدوا فيها وتعلقوا بها في آن ، يأكلون من
الأطعمة أشهاها وأحلاها ، ويميشون أرغد الحياة
وأترفها ، معافين في أبدانهم ، لا يأخذهم حر ،
ولا يزعمهم برد ، ولا يعوقهم عن السعى إلى مآذاتهم
مطر ولا رعد ، إن أدركتهم علة فالأطباء والصيدلة
لديهم يحضرون ، وإن طاف بهم طائف الضجر
فألف وسيلة تطرده عنهم وهم لاهون ، يسرون في
الأرض مختالين نخورين ، يكادون يهتفون بالناس

بيد أن الفلاح العنيد سعى في الأمر دون
علمها ، وكاد السعى بكل بالنجاح لولا أن علم به
الموظف المسؤول بإدارة الفنون ورفع إلى « المراجع
العليا » مذكرة نفت في دسما سموم حقه ، وألقى
ظلالاً من الشك على هذا الصنيع فأفشله ، فسافرت
الأم مكسورة الخاطر ، موجعة القلب ، ناقصة على
الدنيا ، واستمسك الشيخ بعزمته لترقية ولده ،
وسمى إلى توظيفه أولاً في إدارة صغيرة كان رئيسها
قريباً له ، بوظيفة لا يزيد مرتبها على عشرين روبلاً
في الشهر (١)

وقال له : « ساشا ! ولدى العزيز ! لا تمس هذا
المرتب ، بل ادخره بأجمعه وإن شئت فابحث بقليل
منه إلى والدتك ، لا على أنها محتاجة إليه ، ولكن
لتشعر بأنها تشرب قدحاً من الشاي من عرق
جيبك وكعد يمينك ، فيكون له طعم ونكهة
لا يعرف حلاوتها إلا من كان في براءتها ونقاوة
قلبها ، أما البقية فأنفقاها في شراء الألوان والصور
وأجور التعليم الليلي . أما ما كلك ومشربك ومسكنك
وملبسك فأنا الكفيل بها . وتعلّم ما استطعت ،
وزاول من الفنون الجميلة ماشئت ، فإن لك يوماً
ينتظرك في الأكاديمية الإمبراطورية ؛ وإن جدران
الارميتاج تنتظر لوحاتك بفارغ الصبر »

ولم يكن من ساشا إلا أن بكى وشكر أباه وقبل
يده وهو يقول في نفسه : يا لها من حياة كالموت !
وربح خير منه الخسارة ! لقد ضاع حظى في هذه
الوظيفة ، ولكن من يدري ؟

ولم يكن له أن يرضى من الفنيمة بالبقاء في
العاصمة ، يعيش حيناً في كنف قريبه الموظف في
(١) الروبل عملة روسية قديمة قيمتها اثنا عشر قرشاً

« أن انظروا ! وسبحوا وإن شئتم فاحسدوا »
متوهمين راحة الضمير وقرة العين بما قسمه الحظ لهم
من صنوف المنح على رغم أنوف الحاقدين والمحرومين...
ولو أن ساشا برافسكى كان من معدن غير معدنه
لسخط وحقد ، ولاتهم الزمان والمكان والناس
بأنهم سبب ما يعانى من حرمان وفقر ؛ وساءه أن
أمه المسكينة كانت ترجو أن تباهى به العاصمتين^(١)
وهى جاثمة فى كسر بيتها القروى . ولو أنها رأته الآن
لازوت خجلا من بساطة شأنه وهو يطوى شوارع
المدينة الكبرى على قدميه صباح مساء ، وأعظم منه
شأنًا فى نظره تلك النحلة الواقفة على زهرة فى غابة
لفاء تبحث فى حناياها عن رزقها المقسوم . وفى تلك
اللحظات كان يتذكر ماضيه القريب وحياته فى
حضر والديه وأحضان الطبيعة الساذجة ، والأحلام
التي كانت تداعب مخيلته الفتية وترسم أمامه مستقبله
فى معاهد الفنون كأحد طلابها النابغين ، وكان قليل
الذهاب إلى الكنيسة ، ولم يجد فى العاصمة ما يفدى
فى نفسه عاطفة الدين

وقد كان أصدقاؤه الأولون من طبقة المويجيك
مؤمنين وفى قلوبهم ذرة من الجحود الذى سببه الفقر
والجهل ، أما أصدقاؤه فى العاصمة فملحدون ، وليس
فى قلوبهم شعاع من الإيمان ؛ وكان فى وسمه أن
يفشى دار قريبه ، حيث يلقي الترحيب والاكرام
ولكنه كان من التعفف والإباء بحيث يعز عليه أن
يفطن أحد من أقاربه إلى سوء حاله . ومن هنا
تعرف الكسندر (ساشا) بطائفة من الشبان الذين
ساعدهم الدهر بالانضمام إلى صفوف الأكاديمية ،

(١) بطرسبرج وموسكو

والفتيات اللواتى تحررن وغلبن آباءهن على أمرهم
وأقنعهم بمشاركة الشبان فى اجتناء ثمار العلوم العالية
وتلقى العلم معهم على أستاذ واحد فى صفوف الجامعة
وفى اجتماع للطلاب والطالبات التقى بدليانا التى
كانت تماشى كهلا من كهول الثورة على مضض ،
وكانت إذا التقت بساشا فى حضرة الكهل لا تعير
حديث عشيرها سمعا ولا وعيا ولا لفتة ، مندفعة
فى الاستيلاء على لب الشبان الفنانين بحديثها الجذاب
الذى كان ينصت إليه فلا يفوته من تعاريجها
والتواآت حرف واحد ، وفى تلك الفترة كان ساشا
قد أخذ بأهداب الفن وعرف لدى أساتذته بحسن
الدوق ، ودقة البصر ، والقدرة على تمييز الألوان ،
وخلط الأصباغ ، ولكنه أبى أن يدخل الامتحان
أو يعرض لوحاته . وكان يتقزز كلما تذكر الموظف
الكهل ، ذلك السخيف الذى حرمه الالتحاق
بالأكاديمية . وكان أبوه يبعث إليه بالرسائل ، ويأخذ
عليه الموائيق أن يحتفظ فى قصره المأمول بمكان رحب
ليصون فيه شيخوخة أمه من الفقر وذل المسغبة .

والأم تكتب إليه خفية أن يسرع فى إتمام
عمله ليربح منه ما يكفى لإراحة والده المكدود من
تعب السعى على الرزق والإكباب على الأرض التى
تجود حينًا وتماطل أحيانًا . فكان الولد يعد والديه
وهو حائق ، لأنه ما زال فى رحاب الفن يؤمل أن
يملك ناصيته ولو بعد حين . أما المرأة التى تعرفت
إليه وأعجبت بفنه فقد استهوت وخدعته وحسنت له
أن يوزع بين أقرانه رسالة أدبية ، وكان الكسندر
سليم القلب حسن النية فلم يعلم ما تحويه الأوراق
التي قبل تفريقها ، ولم تكن سوى المنشور الذى

الجائمة ، وإن الشيطان الأكبر بعد أن شاد هذا البناء المهول ودعّمه وزينه وجسّله نصب أعواد ملاعبه لتابعيه ليلعبوا أدوارهم فلبوها ، ولكن أنصاف البشر الذين شاركهم تفوقوا عليهم وسبقوهم واختلقوا صنوفاً من الشر وألواناً من الأذى عجز عنها أعوان الشيطان فغضب إبليس وهدم البناء على رؤوس ساكنيه

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود ستفصح قوة القوى المسيطرة على الكون أسرارهم وتنشر بين أيدي الملأ أخبارهم التي دونوها بأقلامهم ونطقت بها ألسنتهم ، وتأتي أيديهم وأعينهم وجوارحهم شاهدة عليهم

« عند ما تزول القيصرية من الوجود سيترحم الملائكة والناس على الذين نبذوهم وأبغضوهم واحتقروهم واضطهدوهم وطاردوهم لأنهم ضحاياء تلك الدولة وفرائسها البريئة ، فلا توجد حيلة ولا مكيدة ولا خبث ولا حيلة ولا فيخ ولا نفاق ولا دسيسة إلا ووردت سجلات تاريخها المشؤوم

« لقد كان (المنبوذون) من أبناء الشعب عيالاً عليهم في طمعهم وجشعهم واؤمهم فتجسدت هذه الفضائح في أرواح قادتهم وساستهم وزعمائهم ، فلم تعرف قلوبهم الرحمة ، ولم تذق نفوسهم الحنان ... يصفون العدل والحرية والمساواة كأنهم يشعرون بها ، ويتخذونها تكأة ومسدداً للموجيك البائسين في عزلة

« عند ما تزول القيصرية الظالمة من الوجود سيتنادى مناد في السماء وفي الأرض : « ألا إن الأرض قد طُهرت من المظالم التي أهرقت الدماء

أدى به إلى الخروج من العاصمة مكبلاً بالحديد إلى سجون سيريا الوحشة وما زال ساشا يحفظه عن ظهر قلب كأنه إصحاح من العهد القديم ، يتلو على مهل ، وأخذ يلقيه على مسامع صديقه فيكتور فيدورفسكي الذي أنصت إليه : « عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سوف يتلو أبناء الأجيال المقبلة صفحات من تاريخها تقطر أسطرها دماً ، لأنها كتبت بالخناجر في لحوم الرجال ، ولا سيما المظالم منهم الذين دافعوا عن أوطانهم ضد المظالم الصارخة ، ووقفوا وجهاً لوجه حيال الدوقات (١) أهل الغدر والخنا

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود ، ويحشر الحق جل شأنه كل تلك الأمم في يوم العرض العظيم ، ستبعث بعض النفوس سوداء كالفحم ، لأنها أثبت أن تخرج من الدنيا إلا وقد أساءت إلى من أحسن إليها واستكبرت !

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سيكشف للذين سمعوا بمجدها ، وقرأوا بدهشة الإعجاب ، عن أخلاقها المزجة ، وفضائلها المزيفة ، وعظمتها الكاذبة تلك العظيمة القائمة على الباطل فانهم سيعلمون أنهم كانوا من المخدوعين ...

« عند ما تزول دولة القياصرة من الوجود سيعلم الدين شهدوا وأحفادهم مصرعها أن الله قد أهلك أكبر دولة بناها الشيطان واستعان في بنائها بكل القوى السكائمة في الظلام المرعب الخيف ، تلك القوى التي لبست وجوه الخفافيش لتخفي وراءها نجاسة الأجيال ، ورجس أعوانه ، وقسوة الضواري

(١) سادة روسيا القيصرية دوقات وجراندوقات

ولا يخطئ؛ حتى لقد ذهل فيكتور فيدوفسكي مما تلاه صديقه القديم، ولكنه لم يستطع أن يقف تيار حديثه الجارف فقال له:

« وكيف استظهرت هذا كله ؟ »

قال: عمراً طويلاً قضيته في سجون سيبيريا، كنت أتلوها صباح مساء، حتى لقد جمعتها صلاتي لأنها سببت شقوتي وسجني. أما المرأة دليانا فقد شنقوها، نعم شنقوها في بطرسبرج، وأما والدتي التي كانت تنتظر البر والخير على يدي فقدمات ولم تذق منهما شيئاً. والآن ها قد عثرت بك لتحملني إلى... السجن أو إلى القبر الأبدي. واغبر وجهه، وارتعدت فرائصه، ووقع على الأرض ميتاً، فلم يكن سلامه إلا وداعاً، وحديثه إلا نذيراً بذنوبه. وكان مصيره إلى... إلى الشرحة...

محمد لطفي جمعة

مجموعات الرسالة

نباع مجموعات الرسالة مجلدة بالإنجليزية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

البريئة. ألا إن الأرض قد طهرت من المظالم
المفضوحة. ألا إن الأرض قد طهرت من النفاق
والعدالة المزعومة. ألا إن الأرض قد طهرت من
إجرام السياسة ورجس الحياة الملوثة ومنكرات
المجتمع. ألا إن الأرض قد طهرت من النفاق
الأسود والخبث الأصفر. ألا إن الأرض قد طهرت
من اللصوصية المزوقة والخيانة المستخفية والفساد
المنذس في زوايا الخديعة. ألا إن الأرض قد
أنقست من الكذب المتقلب الذي قتل الصدق
وضربه على أم رأسه بهراوة الباطل فصصره وولع في
دمه...

« ألا إن الأرض قد خلت من مظاهر الدعوى
بالفخار الكاذب والخداع الذي طال أمد حكمه
وفشا ظلمه وتحكمت إرادته في ضمائر الشعب المغلوب
على أمره.

« ألا إن الأرض قد نظفت من التزوير والحنث
في الأيمان والوعود الكاذبة
« ألا إن الأرض قد نجت من الوعود الباطلة التي
سموها « كلمة الشرف »

ألا إن الأرض قد طهرت من قطاع الطرق
في البر والبحر الذين لبسوا القبعات العالية وتقمشوا
بالبثياب الغالية، وأخفوا أيديهم الملطخة بالدماء
بقفازات من جلود ضحاياهم في قلعة بطرس وبولص،
وفي سجون سيبريا التي يكتنفها الجليد من كل
حذب وجانب »

كان ساشا يتلو من الغيب كأنه يقرأ في صحيفة
مفتوحة بين يديه، لا يقف ولا يتلعثم ولا ينسى